

يمكن أن تعد الطبيعة الأندلسية، بما تملكه من سحر وجمال وتنوع، أحد العوامل التي أسهمت في تشكيل ظواهر الإبداع والتجديد والابتكار، في الشعر الأندلسي، وشعر ابن خفاجة بخاصة الذي سيعني البحث ببعض ظواهر الإبداع فيه. ومن تجليات الإبداع الملحوظة في شعر ابن خفاجة، الصورة التي هي في طليعة ظواهر الإبداع في القصيدة، لقدرتها على تجسيد أخيلة الشاعر، ومطاوعتها في التعبير عن دواخله، وتصوير تجربته الذاتية، فضلاً عما تشيعه في القصيدة من جمل. وللصورة، في شعر ابن خفاجة، مثل هذا التأثير في تشكيل ظواهر الإبداع، بل فيها من المزايا الفنية ما مكنها من أن تمنح شعر ابن خفاجة مزية الشاعرية. وأول هذه المزايا أنها غالباً ملونة بألوان الطبيعة ما يمنحها القدرة على الإثارة والإيحاء، إذ يسهم لون الصورة في إبراز التشخيص الذي تحفل به صور الشاعر، فاللون الذي يكسو ظاهرة الحركة والحيوية والنشاط التي تصاحب التشخيص، يمنح الصورة الشفافية التي ترفدها بإمكانيات مضافة للإعراب عما تنطوي عليه من دلالات وإشارات. وإذا ما أتيح لهذا التشخيص الملون الاقتران بمعاني (الإسقاط)، الذي يعتمد إليه ابن خفاجة أحياناً، فسيكون في مستوى فني يمتلك فيه المزيد من وسائل الإيحاء والتأثير والإدهاش. وهذه من وظائف الفن الإبداعي. هذا ملخص ما سيعنى البحث بدراسته في شعر ابن خفاجة